

## قصيدة (مالمَ تَقْلَهُ زرقاءُ اليمامة) للشاعر محمد عبد الباري

عدنان رسمي ياسر يونس / قسم اللغة العربية، كلية التربية للبنات، جامعة الشطرة – ذي قار، العراق .



### CORRESPONDENCE

عدنان رسمي ياسر

[adnan.rasmi@shu.edu.iq](mailto:adnan.rasmi@shu.edu.iq)

2024/10/16

الاستلام

2025/08/20

النشر

### الكلمات المفتاحية:

الخطاب،  
تحليل الخطاب،  
فان دايك،  
البنية الكبرى

### ملخص

ظهرت في سبعينات القرن العشرين أصواتٌ تطالبُ بترحيلِ الجملةِ من منطقة الوصفِ اللُّغويِّ؛ بدعوى أنها قاصرةٌ عن استيعابِ العناصرِ الدلاليَّةِ والتداوليَّةِ، ومن ثم لا تحيطُ بالمعنى الإجماليِّ للخطاب. فشعر اللسانيُّون بضرورة تجاوز الجملة والتوجُّه نحو ميدانٍ أوسع، وهو ميدانُ الخطاب. ولهذا أصبح شعارهم: وداعاً للجملة مرحباً بالخطاب.

هذا البحثُ هو دراسةٌ لقصيدة (مالم تَقْلَهُ زرقاءُ اليمامة) للشاعر محمد عبد الباري على وفق مقترح فان دايك في تحليل الخطاب، إذ يهدفُ إلى الكشفِ عن البنيةِ الكبرى عبر القواعدِ الدلاليَّةِ التي ورثها فان دايك من النحو التوليديِّ التحويليِّ.

وخلص البحثُ إلى أن الخطابَ المشفَّرَ ليس من السهولةِ بمكان الوصولِ إلى بنيتهِ الكبرى؛ لأنَّه خطابٌ يحتاجُ إلى كفاءةٍ عاليةٍ لاختراقه، ومن ثم تقريبه إلى الفهم.

### About the Journal

Zanco Journal of Humanity Sciences (ZJHS) is an international, multi-disciplinary, peer-reviewed, double-blind and open-access journal that enhances research in all fields of basic and applied sciences through the publication of high-quality articles that describe significant and novel works; and advance knowledge in a diversity of scientific fields.

## 1.المقدمة

ظهرت في سبعينات القرن العشرين أصواتٌ تطالبُ بترحيلِ الجملةِ من منطقةِ الوصفِ اللُّغويِّ؛ بدعوى أنَّها قاصرةٌ عن استيعابِ العناصرِ الدلاليَّةِ والتداوليَّةِ، ومن ثمَّ لا تحيطُ بالمعنى الاجمالي للخطاب. فشعر اللسانيون بضرورة تجاوز الجملة والتوجُّه نحو ميدانٍ أوسع، وهو ميدانُ الخطاب. ولهذا أصبح شعارهم "وداعاً للجملةٍ مرحباً بالخطاب". [الشكلي وآخرون، 2008، 75]. وكان من بين هؤلاء اللسانيين فان دايك الذي كان يهدفُ بهذا التجاوزِ إلى تحقيقِ غرضٍ عامٍّ، وهو تفسير العلاقات النَّظاميَّة بين النَّصِّ و السِّياقِ التَّخاطبيِّ [خطابي، 2006، 30]. يُناقشُ هذا البحثُ موضوعَ البنيةِ الكبرى بوصفها مقولةً من مقولاتِ تحليلِ الخطابِ عند فان دايك في إطار سيكولساني سُمِّي من طرف الذَّهنيِّين بـ الذاكرة النَّصيِّية، وهي الدراسات التي تحاولُ أن تجدَ علاقةً بين التَّنظيمِ الذَّهنيِّ والخطابِ؛ من أجل معالجة اشكاليَّة وحدة الفهم (وحدة التَّقطيع القرائي) [بوساحة، 2016، 245].

### 1.1. إشكالية البحث

تبرزُ اشكاليَّةُ البحثِ بسؤالٍ جوهريٍّ يمكنُ طرحه على النحو الآتي: كيف نخترقُ الخطابَ للوصولِ إلى موضوعه أو بنيته الكبرى في قصيدة (مالم تَقْلُهُ زرقاءُ اليمامة)؟ ويتفرَّعُ من هذا السؤالِ حزمةٌ من الاسئلةِ الفرعيَّةِ التالية: ما القواعدُ التي تَنمي هذه القدرة، وتقرَّبُ المسافةَ الجماليَّةَ بين الخطابِ والمتلقي؟ هل تتدخلُ هذه القواعدُ في إنتاجِ الخطابِ، وتؤسسُ بنيةً ذهنيَّةً مكافئةً له؟ ما مدى قوَّةِ هذه القواعدُ؟

### 2.1. سبب اختبار البحث

لعلَّ السببَ الذي استهوى الباحثَ، ودفعه إلى الكتابةِ في هذا الموضوع هو خطابُ القصيدةِ نفسُه الذي ارتدى ثوبَ المخيال، وكثرتُ فيه الآباءُ والمرجعياتُ الفكريَّةُ، وعليه أردنا حقن هذا الخطابِ بمعنى كُليٍّ على وفق المنظور الجشطالتيِّ.

### 3.1. هدف البحث

يهدفُ هذا البحثُ إلى الكشفِ عن البنيةِ الكبرى في قصيدة (مالم تَقْلُهُ زرقاءُ اليمامة) عبر القواعدِ الذَّهنيَّةِ التي اقترحها فان دايك، وهي قواعدُ تتدخلُ في الخطابِ، وتعيدُ النَّظْرَ في صياغته.

### 4.1. فائدة البحث

هذا البحثُ يمكنُ الإفادةَ منه في مجالِ الدِّراساتِ التي عنَتُ بتحليلِ الخطابِ من منظورِ سيكولسانيِّ.

### 5.1. منهج البحث

اعتمدَ البحثُ المنهجَ الوصفيَّ التَّحليليَّ في تحليلِ قصيدة (مالم تَقْلُهُ زرقاءُ اليمامة).

### 6. 1. مسرد بالدراسات السابقة

بعد الاطلاع على الفضاءِ البحثيِّ والقواعدِ الخاصَّةِ به، تبيَّن للباحث أن ثمة دراسات درست قصيدة (مالم تَقْلُهُ زرقاءُ اليمامة)، وقد عملنا لها مسرداً على النحو الآتي:

ت	الدراسة	الباحث
1	تأثير المسافة الجماليَّة على تفاعل المتلقين في ضوء قصيدة (مالم تَقْلُهُ زرقاءُ اليمامة) على ضوء نظريَّة المستقبل	عهد منصور حجازي
2	ظاهرة التَّبَوُّ في نصِّ (مالم تَقْلُهُ زرقاءُ اليمامة) للشاعر محمَّد عبد الباري دراسةً أسلوبيةً	د. عبد الله محمد عبد الرحمن
3	قصيدة النَّبوءة أسلوبية الدِّوال والمعنى الشعريِّ	د. رحمن غركان
4	مرجعيات النَّصِّ في قصيدة (مالم تَقْلُهُ زرقاءُ اليمامة) لمحمَّد عبد الباري	صولح منصور و د. حينوني رمضان
5	النَّبوءة الشعريَّة بين قصيدتي (مسيح الماء) لحازم التميميِّ وقصيدة	د. غانم صالح سلطان

	(مالر تَقْلُهُ زرقاءُ اليمامة) لمحمد عبد الباري	
6	هاجس المستقبل في قصيدة (مالر تَقْلُهُ زرقاءُ اليمامة) لمحمد عبد الباري	د. بوديسة بولنوار

وجميع هذه الدراسات لم تتطرق إلى تحليل الخطاب من منظور لسانيات النص عند (فان دايك) وعتبة عناوانها تشي بذلك.

## 7.1. خطة البحث

قُسّم البحث على مقدمة يقفوها محوران فخاتمة ، فأما المحور الأول، فقد عنى بالجهاز المفاهيمي؛ ليُعلن عن مفهوم الخطاب، وتحليل الخطاب، والبنى الكبرى عند فان دايك، في حين خُصص المحور الثاني بالتطبيق، وبعد المحورين تأتي خاتمة البحث .

## 2. الجهاز المفاهيمي

### 1.2. مفهوم الخطاب

إنَّ مفهومَ الخطاب مفهومٌ اشكاليٌّ ؛ ومردُّ ذلك، إلى عدم استقراء مفهومٍ نقديٍّ، ومحاولة حقول المعرفة استغلاله لأغراضٍ إجرائيةٍ منهجيةٍ [خمري، 2007، 46]. وفي هذا السياق يطرحُ (فان دايك) سؤالَ الماهية حولَ الخطاب قائلاً: "ما الخطاب؟ ويجبُ أنَّه سؤالٌ بسيطٌ في ظاهره، مُعقّدٌ في حقيقته" [شومان، 2007، 24] . وعرّفَ الخطاب - شأنه شأن أي مصطلحٍ آخر - بأشياءٍ قد لا تمّت إليه بصلة ، بل تقفُ أحياناً على النقيضِ منه. وغالباً ما يُشخّصُ بنقاط الاختلافِ بينه وبين مصطلحاتٍ أخرى مثل: النصّ، والجملة، والايديولوجيا، بحيث إنَّ كلَّ واحدٍ منها يرسمُ حدوداً لمفهومِ الخطاب [ميلز، 2012، 22].

وقد عرضتُ ( ديورا شيفرن) ثلاثة تعريفاتٍ للخطاب، تمثّل في مجملها الاختلافَ الحاصلَ بينَ مناهجِ الدّراساتِ اللّسانيةِ، وهي على النّحو الآتي [الشهري، 2004، 37] :

(أ) الخطاب بوصفه أكبر من الجملة.

(ب) الخطاب بوصفه استعمال اللّغة.

(ت) الخطاب بوصفه ملفوظاً.

وظاهرٌ أنَّ الخطابَ بالمفهومِ الأوّل يتجسّد في المنهجِ الشكليِّ، إذ يأخذُ المحلّلُ بلحاظِ الأمرِ عناصرَ انسجامه، وترابطه، وتركيبه، ومعرفة وحداته، ومناسبتها على مستوى البنية المنجزة [نفسه، 38].

وفي هذا المجال، يأتي مفهومُ (فان دايك) للخطاب على أنّه تتابعٌ من الجمل [فارغا، 2013، 68]. والخطاب بهذه الرؤية بنيةٌ مغلقةٌ، مشغولة بهوس الترابط بين أجزائها، إذ تستمدُّ التفسيرَ من النسيجِ نفسه، دون إقحام العناصر الخارجية المحيطة بالخطاب.

أمّا الخطابُ في التعريفِ الثاني، فيتمثّل المنهجَ الوظيفي الذي يعنى بكيفية استعمال اللّغة وبالقيمة الاتصالية لها [أحمد، 1989، 70]. وهو أمرٌ، يحصلُ، من خلال اعتناق الخطاب ابستمولوجياً من أسر الانحاء الشكّلية، والدعوة إلى ربطه بالخارج لسانيّ. " فالبنى الصبائية والقواعدية والدلالية محكومة بالوظائف التي تؤدّيها في المجتمعات التي تعمل فيها" [علي، 2018، 70]. يقول (فان دايك) انطلاقاً من رؤيةٍ وظيفيةٍ لمفهومِ للخطاب " يعني تأويل النصّ .. إعطاء النصّ مختلف وظائفه مثل: أفعال اللسان ، وفي السياق الاجتماعي الثقافي " [فارغا، 2013، 99]. وهذا الطرح يتناغمُ مع مفهوم (فوكو) للخطاب الذي يعرفه بأنّه " شبكةٌ معقدةٌ من العلاقات الاجتماعية، والسياسية، والثقافية التي تبرز فيها كيفية التي ينتج فيها الكلام... " [الرويلى والبازعي، 2002، 155].

في حين أنّ الخطاب في التعريف الثالث يُعلن القطعية بين المنهجين السابقين؛ أي بين البنية والوظيفة، وقد يتخذ من الجملة أساساً له، ولكن ليس بمفهومها العرفي التجريدي، بل بمفهومها التلظّي في السياق. والتعريف بهذه الرؤية يغفل مفهومَ الخطاب على وفق المنهج الشكلي بوصفه أكبر من الجملة، كما يعدل به عن كونه تراكمًا من الوحدات اللغوية الصغرى الخارجة عن السياق، إلى كونه مجموعة من الوحدات التلظّية المرتبطة بسياقات خاصة [الشهري، 2004، 37].

## 2.2. تحليل الخطاب

يُعدُّ مصطلحُ تحليل الخطاب من المصطلحات التي دخلت مجال البحث العلمي والثقافة الغربية بتأثير من الدّراسات اللّسانية، ويعود الفضل في ابتكار هذا المصطلح إلى (هاريس) سنة 1952، إذ نحا فيه منحىً نحوياً، أبعده إلى حدٍ كبيرٍ عن مفهوم تحليل الخطاب بالمعنى الشائع في الدّراسات اللّسانية [علي، 2016، 5]. يقول (هاريس) مُعرِّفاً هذا المصطلح: " إنَّ تحليل الخطابِ منهجٌ

في البحث في أيما مادة مشكّلة من عناصر متميزة ومترابطة في امتداد طولي سواء أكانت لغة أم شيئاً شبيهاً باللغة، ومشمّلة على أكثر من جملة أولية؛ أو لنقل إنها بنية شاملة تشخص الخطاب في جملته أو أجزاء كبيرة منه [مكدونيل، 2001، 30].

ظهر تحليل الخطاب ردة فعل على الاشكال اللسانية التقليدية التي ركزت على الوحدات المكوّنة لبنية الجملة، دون الخطاب بأكمله [ميلز، 2012، 147-148]. ولعلّ المعاينة إلى النسق الداخلي المترابط للخطاب نحوياً وجدت طريقها عند (فان دايك) الذي أشكل على النحو الكلاسيكي في كتابه (Aspects of Text Grammar)؛ بدعى أنّه لا يحقّق المطالب التي يقتضيها تحليل الخطاب [خليل، 2010، 265-266]، ودعا إلى اتباع طرق جديدة في تحليل المستويات اللغوية، منها: تحديد ما يعتري الخطاب من ذكر أو حذف، أو إضافة، أو استبدال. وبهذا شعر (فان دايك) بضرورة الخروج على دراسة الجملة إلى الاهتمام ببنية أوسع مؤلّفة من جمل مترابطة تكوّن وحدة دلالية هي الخطاب [نفسه، 266].

ولم ينشأ تحليل الخطاب داخل علوم اللغة عن فعل مؤسس، ولكنه أتى من التقاء تيارات مختلفة، ظهرت في أوروبا وأمريكا منذ ستينات القرن العشرين، وكلّها تنصّ على دراسة الإنجازات المتجاوزة للجملة شفوية كانت أم مكتوبة؛ من أجل فهم دلالتها الاجتماعية [شارودو ومنغنو، 2008، 9].

والجاذب في هذا التلاقي المعرفي هو جعل الخطاب فعل تلفظ يتعالى على اللسانيات؛ ذلك أنّ اللساني يشعّر بارتياح أكثر وسط الجملة، وكلّما اقترب من تخوم الخطاب في المحادثة التامة يكون غير مستعد لتناول الكل؛ فليس من مقولات اللسانيات مقولة تصلح لتحديد الكل [باختين، 1986، 168].

وتأسيساً على ذلك، حاول فان دايك في كتابه النصّ والسياق Text and Context أن يوحد نموذج التحليلي القائم على النحو والدلالة في المستوى التداولي؛ بغية إنشاء مقاربة أكثر وضوحاً وتنظيماً للدراسة اللسانية للخطاب [2000، 13]. وهو أمر أدى إلى ظهور أعمال تدرس موضوعات تداولية مشتركة مثل: الإشارات، والافتراضات، وأنواع الاستنتاج، والمفاهيم الخطابية... [علي، 2018، 104].

بعد هذا العرض، يمكن تعريف تحليل الخطاب على أنّه: "ميدان لاستثمار المعطيات المنهجية المختلفة التي توفرها اللغة في دراسة النصوص والخطابات وتحليلها على المستوى البيوي، والسميائي، والتداولي... وقد اصبح علماً قائماً بحد ذاته له خلفياته النظرية، وأساسه المعرفية، وموضوعه، ومناهجه، وإجراءاته التطبيقية، ووسائل تحليله ونتائجه" [ابري، 2012، 13].

### 3.2. البنية الكبرى عند فان دايك

إنّ علاقة الخطاب باللغة علاقة إعادة توزيع (هدم وبناء)، ما يستدعي معالجته من خلال مقولات منطقية، تتجاوز المقولات اللسانية المحضة، إلى الدالّ الذي يُنتج فيه، والمسار الاجتماعي الذي يسهم فيه بوصفه خطاباً [يقطين، 2006، 20].

لنأخذ الخطاب الآتي: (تلك طاولة كثيرة الضحك...). فذا ورد هذا الخطاب معزولاً عن السياق؛ فلن يكون له أي معنى، وسيرفضه السامع فوراً، مع أنّ الخطاب سليم من الناحية النحوية. وسبب رفضنا له ليس من العناصر الشكلية، وإنما يأتي الرفض من عرض هذا الخطاب على مجموعة من المعطيات المنطقية التي تجعل من هذا التركيب تركيباً مرفوضاً من حيث المعنى، مع أنّه مقبول من حيث النحو. ولكن لو كنّا نجلس في نادٍ، وكان الجالسون حول إحدى الطاولات يضحكون، ثم نطق أحدنا هذا الخطاب محدداً إلى ما يقوم به الجالسون هناك، فنّ المعنى يتضح عند السامع ويقبله [خليل، 2010، 267].

يستنتج فان دايك من ذلك أنّ اللسانيين الوصفيين لم يتأملوا الدور الذي تقوم به البنى الكبرى، وهو دور، يفوق بكثير ممّا تقوم به البنى الصغرى في توضيح دلالات الخطاب [نفسه، 267-268]. فتحليل الخطاب يبدأ -إذن- من البنية الكبرى [فضل، 1993، 254]، التي هي بالأساس بنية تجريدية كامنة تمثّل منطوق النصّ، أو ما اطلق عليه غريماس البنية العميقة الدلالية والمنطقية [بحيري، 1997، 124].

البنية الكبرى - إذن - عند فان دايك هي محاولة للإجابة عن اسئلة من قبيل: [79، 2005، وبوساحة، 2016، 264]

- عن ماذا يتحدّث الخطاب؟
- عن ماذا يتحدّث الكاتب؟
- ماذا يريد أن يقول الكاتب من خلال الخطاب؟
- ما موضوع الخطاب؟

## - ما الفكرة العامة للخطاب؟

يعرف فان دايك البنية الكبرى على أنها " تمثيل دلالي، إما لقضية ما، أو لمجموعة من القضايا، أو لخطاب بأكمله" [خطابي، 44، 2006]. " ويسترسل (فان دايك) في ذلك قائلاً: " وبوجه عام توجد مستويات ممكنة مختلفة للبنية الكبرى في النص، بحيث يمكن أن يقدم كل مستوى أعلى (أعم) من القضايا في مقابل مستوى أدنى بنية كبرى" [ 76، 2005]. وهذه البنية الدلالية للخطاب تسمح لمستعملي اللغة بعمل الاستنتاجات الممكنة، وباستكمال القضايا المفقودة التي تجعل من التابع متماسكاً، بناءً على معرفتهم بالعالم، ومن ثم، تجعلهم قادرين على النهوض، بعبء فقد الروابط في التابع إزاء فهم الخطاب [شبل، 2007، 260].

يتضح من ذلك، أن البنية الكبرى عند فان دايك تتعلق بموضوع الخطاب العام، إذ تبرز في ضوئها الكفاية المركزية لمحدث ما، بحيث تأذن له بالإجابة عن أسئلة جوهرية لخطابات معقدة وطويلة، وهذه الكفاية في استنتاج موضوع الخطاب، ووصف أهدافه، وتقديم خلاصات له هي المسؤولة عن كشف أبنيته [فضل، 1993، 260]. ومن جهة أخرى، فن مفهوم البنية الكبرى مفهوم نسبي، إذ يميز بنية ذات طبيعة شاملة مقارنة بأبنية أكبر تحديداً وتخصيصاً منه في مستوى أدنى، ويستنتج من ذلك، أن ما يمكن أن يعد بنية صغرى في خطاب ما، يمكن عدّه بنية كبرى في خطاب آخر [فاندايك، 2005، 75-76، وفضل، 1993، 260].

وظاهر أن لكل قارئ، ولكل خطاب بنيته الكبرى "..... وأن القارئ يصل إلى هذه البنية الكلية عبر عمليات متنوعة تشترك كلها في سمة الاختزال، على أن البنية الكلية ليست شيئاً معطى، حتى وإن كانت هناك بنيات متنوعة أو مؤشرات على وجود هذه البنية، وإنما هي مفهوم مجرد حدسي، به تتجلى كليات الخطاب ووحده" [خطابي، 46، 2006].

وقد اقترح فان دايك مجموعة قواعد ذهنية يعتمد عليها القارئ للوصول إلى البنية الكبرى، وهي عنده كالاتي [شبل، 2007، 196-197]:

## -1 قاعدة الحذف:

مؤدى قاعدة الحذف أن كل معلومة غير مهمة، أو غير جوهرية، أو ثانوية للمعنى أو وزائدة، أو ليست شرطاً لتفسير القضايا بصورة مباشرة أو غير مباشرة يجب حذفها من البنية الكبرى.

## -2 قاعدة الاختيار:

هذه القاعدة تتعلق باختيار القضايا الضرورية لتفسير القضايا الأخرى، فبعض القضايا تكون مهمة بصفة خاصة أو وثيقة الصلة بالموضوع، فتدخل في البنية الكبرى. ففي الأقوال الآتية:

(أ) عاد أحمد إلى سيارته. (ب) ركبها. (ج) سافر بها فرانكفورت.

نجد طبقاً لهذه القاعدة أن نحذف القضيتين (أ و ب)؛ لأنهما قيود، أو فرضيات سابقة، أو توابع لقضية أخرى لا تحذف وهي (ج) بناءً على معرفتنا أن المرء إذا سافر يجب أن يتجه إلى السيارة ثم يركبها.

## -3 قاعدة التعميم:

تتعلق هذه القاعدة بالإحلال أو الاستبدال، إذ تحذف معلومات أساسية لقضية ما وتحل محلها قضية جديدة تتضمن القضايا القديمة. ومثالها:

(أ) هند ترسم صورة. (ب) سعاد تقفز بالحبل. (ج) أحمد يبنى شيئاً بالمكعبات.

هذه القضايا السابقة يمكن أن تعمر في (الاطفال يلعبون).

## -4 قاعدة التركيب (الإدماج):

في هذه القاعدة يمكن بناء أو دمج قضية من مجموعة قضايا مكونة قضية كبرى. ومثالها:

(أ) اشتريت تذكرة سفر. (ب) اقتربت من المحطة. (ج) سعدت إلى القطار. (د) تحركت القطار.

وهذا التابع بالإمكان أن يتفرع إلى أكثر من ذلك متضمناً في القضية التالية (ركبت الطائرة).

إن الشرط العام الذي يلح عليه فان دايك لأجل إجراء هذه القواعد هو عدم إمكان حذف قضية سابقة تستلزمها قضية لاحقة [خطابي، 2006، 284]؛ وذلك للمحافظة على فهم الخطاب، وعدم التفريط بوحده، مع أن فان دايك توجس خيفة، وأبدى بعض التحفظات على تطبيق هذه القواعد يمكن طرح اثنين منها [نفسه، 284]:

- القدرة التي تنماز بها عمليات الحذف؛ ما يجعلها تحتاج إلى قيود إضافية.

- يمكن أن تكون البنية الكبرى موضوع قيود وقواعد مختلفة بحسب أشكال الخطاب.

### 3. التطبيق

#### البنية الكبرى في قصيدة (الملم تقله زرقاء اليمامة)

عندما يحاول القارئ تأسيس بنيتها الكبرى يكون قد استنتج، افترض، وظّف حدسه اللغوي وكفاءته النصية - الخطابية- التناسقية، مطبقاً لإجراءات لغوية - ذهنية خاصة قصد الحصول على البنية الكبرى؛ أي موضوع الخطاب" [بوساحة، 2016، 278 ] " فالتفصيل تهمل، والجزيئات تُنسى، والبيئة الكبرى وحدها تقاوم النسيان" [الطعان، 1994، 449].

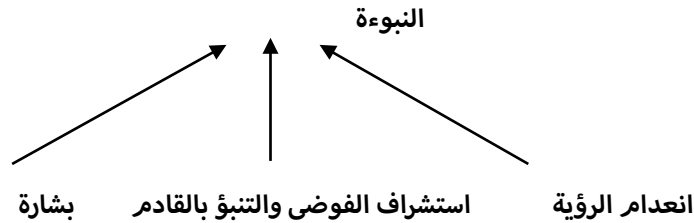
لا يماري أحد في أنّ القصيدة التي بين أيدينا قصيدة عصية على التحليل؛ " لأنها كتبت على شكل نبوءة ضبابية، لا تعلن عن دلالة مضبوطة منذ بدايتها حتى نهايتها.. السعي إلى قراءتها هو سعي شبيه بتأويل آي القرآن؛ ولذلك يلحّ النقّاد على أنّ المعنى يجب أن لا يتأتى للمتلقّي من أقرب السبل، بل يجب أن يكون معنى منفلتاً " [بولنوار، 2020، 769]. ولعلّ هذه المقاربة تسمح لنا بطرح حزمة من الاسئلة الاستفزازية:

- إذا كانت البنية الكبرى هي عنوان النصّ، أو المكافئ لعنوان النصّ، فمن أين يبدأ القارئ نصّه؟  
- من البنية الكبرى أم من البنية الصغرى؟

- فن سبق اعطيت البنية الكبرى على شكل عنوان، فما جدوى تأسيسها مرّة أخرى من القارئ؟ [بوساحة، 2016، 278]. يبدو أنّ هذه الاسئلة لا تصمد أمام ما طرحه (فان دايك) حين عدّ عنوانات النصوص جزءاً من البنية الكبرى [88، 2005]، ومن ثمّ فهناك عنوانات محتالّة، قد لا تمثّل نصوصها ككلّ، أو قد لا تحيل عليها بشيء وهكذا.

والفاحص لعنوان (الملم تقله زرقاء اليمامة) يجد أنّه يحيل على عدم البوح بشيء، والآن حان البوح به، فالمعهود عن زرقاء اليمامة أنّ لديها القدرة على قراءة الاشياء بصرياً، وتقديم العالم بطريقة الاستشراق، إلّا أنّ الشاعر غيّب زرقاء اليمامة في القصيدة، واسند دورها إليه، وممّا يؤيد هذا الطرح مصادرة الشاعر لأدوات العرّافة، وهي ( التأويل، أرى، رؤيا، الحدس، فانوس النبوءة، طالع، نبوءتي).

يبدو أنّ العنوان خلقنا لنا قطبين متضادين: اليمامة والشاعر، الأوّل تسترّ أو أجل اختبار المضمرات، والثاني أباح بكلّ شيء، و بالمحصلة؛ فالملم تقله زرقاء اليمامة، فقد قاله الشاعر، إذ تتبّأ، فكانت نبوءته ضمن هذا التثليث الرتيب: انعدام الرؤية، فاستشراق الفوضى والتنبؤ بالقادم، فبشارة. ويمكن تمثيلها بالترسيمة الآتية:



العنوان إذن في القصيدة بنية صغرى في علاقة لا انفكاك لها مع البنية النصية الكبرى [مداس، 43، 2009]. وهذه البنية الصغرى معية البنيات الصغرى الأخرى، "يدمجها القارئ دلاليّاً كي ينتهي إلى تأسيس بنيتها الكبرى" [بوساحة، 2016، 278]. ومنهجنا في هذه المقاربة يفرض علينا أن نقسم القصيدة على مقاطع، يتكون كلُّ مقطع من تابع من القضايا؛ من أجل الوصول إلى البنية الكبرى لتلك القصيدة عبر تطبيق القواعد الكبرى:

المقطع الأوّل: [الباري، 20120، 9-10].

1- شيء يُطلُّ الآن من هذي الدُّرى	أحتاجُ دمعَ الانبياءِ لكي أرى
2- النصُّ للعرّافِ والتأويلُ لي	يتشاكسانِ هناك قال وفسّرا

3- ما قلتُ للنجمِ المُعلَّقِ: دُننِي	ما نمتُ كي اصطادَ رؤيا في الكرى
4 - شجرٌ من الحدسِ القديمِ هزرتُهُ	حتَّى قبصتُ الماءَ حينَ تبخرَ
5- لا سرٌّ فانوسُ النبوءةِ قال لي:	ماذا سيجري حين طالع ما جری

فعند تطبيق القواعد الكبرى على تتابع هذه القضايا نلاحظ أن:

- **قاعدة الحذف**، تعمل في القضية (3) وتحديداً في إسناد لفظ (المُعلَّق) إلى النجم؛ فالنجم- بناء على معرفتنا بالعالم- فهو معلَّق؛ لذلك يجبُ حذف هذا النعت من البنية الكبرى.
  - **قاعدة الاختيار**، تعمل في القضية (1)؛ لأنَّ الذي يحتاجُ الانبياءُ بدهياً، ليس به حاجة إلى التَّأويل، أو نفي الاهتداء بالنجم، أو اختبار الحدس، أو البحث عن الاسرار، أو حتَّى أن يكون عرَّافاً.
  - ولعلَّ توالد القضايا السابقة فائضٌ، ولا يكشفُ عن الرؤية الضبابية في مطلع القصيدة، لكنَّ وجود تلك القضايا في المتن الحكائي، قد يشي بأنَّ طلب الشاعِر (أحتاج دمع الانبياء..) فيه استحالة؛ لذلك مارس الشاعِر دور العرَّاف في الكشف عن لعبة المعنى المُخاتِل، وهو دورٌ فيه انفعالٌ واضحٌ وتوجُّسٌ من القادم.
  - **قاعدة التعميم**، تعمل في القضيتين (1، 2)؛ لأنَّ الشاعِر لم يحدِّد ماهية الشَّيء والسِّرِّ، ولم يفصِّل فيهما، وعليه، يمكن أن تدخل تحتها طائفةٌ من التفاصيل والاسئلة لمعرفة القصد الذي يتشوفُ إليه الشاعِر.
  - **قاعدة الإدماج**، تعمل في القضايا (5،1،2) فهي من القضايا الجوهرية في القصيدة، فالأولى تمثِّل الرؤية الضبابية، والثانية تبين الجانب السيكولوجي للشاعِر، وهو يتقنَع بقناع العرَّاف، والخامسة تحدِّد بداية الاستشراق.
- يمكن إذن من خلال القضايا المتتابعة في المقطع الأول أن نشقَّ القضية الدلالية الكبرى، وهي **انعدام الرؤية**.

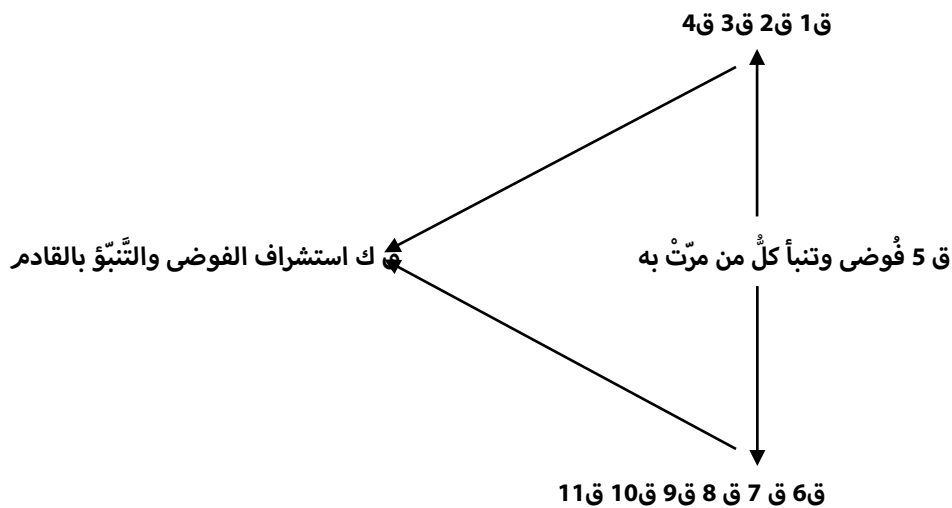
المقطع الثاني [الباري، 2012، 10-12].

1- في الموسِمِ الآتي سيأكلُ آدم	تفاحتينِ وذنبُهُ لــــن يُغفرا
2- الارضُ سوف تشيخُ قبلَ أوانها	الموتُ سوف يكونُ فينا أنهرا
3- وسيعبرُ الطوفانُ مِن أوطاننا	مَنْ يَقنَعُ الطُوفانَ أن لا يعبرا؟
4- ستقولُ ألسنةُ الذبابِ قصيدةً	وسيرتقي ذئبُ الجبالِ المنبرا
5- فوضى وتنبأ كُلُّ مَنْ مرَّتْ بهم	سيعودُ سيفُ القرمطيِّ ليثأرا
6- وسيسقطُ المعنى على انقاضنا	حتَّى الأمامُ سيستديرُ إلى الورا
7- في الموسِمِ الآتي ستشبهُ الرؤى	ستزيدُ أشجارُ الضبابِ تجدراً
8- وسينكرُ الأعمى عصاهُ ويرتدي	نظارتينِ من السرابِ ليُبصرَا
9- سيرى القبيلةَ وهي تصلبُ	فالأزدُ لازالتُ تخافُ

عبدَها	الشنفرا
10- سيرى المؤدّن	سيقول إنّنا لاحقان
والإمّامَ كلاهما	بقيصرا
11- في الموسِمِ الآتي مزادٌ	حتّى دمُ الأمواتِ يُباعُ
معلُنٌ	ويُشتري

تتحمّم في هذا التتابع الرتيب مجموعة من القواعد الدلاليّة الكبرى وهي:

- **قاعدة الحذف**، تعمل في القضايا (2، 3، 4، 5، 6) و (8، 9، 10) بدليل أنّ الأصل فيها: في الموسم الآتي الأرض سوف تشيخ قبل أوانها ... في الموسم الآتي سيعبر الطوفان.. وهكذا في القضايا الأخرى . وعلى هذا، لا يمكن حذف القضية (1) من البنية الكبرى ؛ لأنّها الفرض الذي تترتب عليه نتائج في بقية النصّ [فضل، 1993، 257].
- **قاعدة الاختيار والتعميم والإدماج**، تعمل جميعاً في القضية (5) فهي من القضايا الجوهرية التي عملت على تجسير العلاقة بين القضايا السابقة واللاحقة لها، فكلّ قضية تتبأ بها الشاعر، من خلال هذا الاستدعاء المخيف، هي فوضى قادمة ، ومن ثم، ينشأ من تلك القضايا القضية الدلاليّة الكبرى وهي، **استشراف الفوضى والتنبؤ بالقادم**. ويمكن تمثيل ذلك بالترسيمة الآتية:



1 - ناديّ يا يعقوب تلك نبوءتي	الغيمة الجبل هنا لن تمطرا
2- قال اتخذ هذا الظلام خريطة	عند الصبح سيحمد القوم السرى
3- لا تبتأس فالبئر يوم واحد	وغداً تؤمرك الريّ القرى
4- اخلع سوادك في المدينة نسوة	قطعن أيديهنّ عنك تصبراً

للخارجين الآن من صامت الثرى	5- فم صّل نافلة الوصول تحية
من ألسف باب أن أرادوا خيبرا	6- واكشف لأخوتك الطريق ليدخلوا
من حكمة الوجع المصابير سُكرا	7- ستجيء سبع مرة فالتخزن وا
من بعدها التاريخ يرجع أخضرا	8- سبع عجاف فاضبطوا أنفاسكم
مدوا خيام القلب واشتعلوا قري	9- هي تلك قافلة البشير تلووح لي
هطل القميص على العيون وبشرا	10- اشتم رائحة القميص وطالما

نحصل عند تطبيق قواعد البناء أن:

- قاعدة الحذف، تعمل في القضايا (2، 3، 4، 5، 6، 7، 8) فهي من القضايا الثانوية التي يمكن حذفها من البنية الكبرى.
- قاعدة الاختيار، تعمل في القضايا (1، 2، 3)؛ لأنها تمثل البداية الأولى للخروج من المأزق.
- قاعدة الإدماج تعمل في القضيتين (9، 10) فهما من القضايا المهمة في النص، ومن ثم يمكن أن تتولد القضية الدلالية الكبرى وهي البشارة.

وظاهر أن القصيدة ترتكز على ثلاث قضايا دلالية كبرى متداخلة ومنسجمة فيما بينها وهي:

- 1- **انعدام الرؤية:** هذه القضية هي مستهل القصيدة، إذ حركت المياه الراكدة للشروع بالنبوءة.
  - 2- **استشراف الفوضى والتنبؤ بالقادم:** تمثل هذه القضية العمود الفقري الذي يستند إليه النص، وعليه؛ يمكن أن تشي تلك القضية بموضوع الخطاب، وتكشف عن فاعلية المخيال، والاستدعاء للشخص التاريخي.
  - 3- **البشارة:** هذه القضية جاءت حلاً لانكماش الذات التي ادعت استشراف العالم، والتكهن بالغيبيات. وهذه القضايا يمكن أن نطبق عليها قواعد الاختزال أيضاً لنحصل على التالي:
  - **قاعدة الحذف** تعمل في القضيتين (1، 3).
  - **قاعدة الإدماج** تعمل في القضية (2)؛ لنتج لنا البنية الكبرى للقصيدة وهي **النبوءة** التي هي في الأساس نتيجة للحراك الشعبي الذي حصل في تونس، و مصر، واليمن، وليبيا أواخر عام 2010 ومطلع عام 2011.
- يتضح مما تقدم أن البنية الكبرى من مخرجات الجشطالتية التي تؤمن بالكل دون الجزء؛ ولهذا تغيب خصوصية كل قضية من قضايا النص بحضور هذا الكل المتجانس.

#### 4. نتائج البحث

بعد هذا الطواف العلمي والمغامرة المعرفية خرج بحثنا بالنتائج الآتية:

- 1- أعاد فان دايك للخطاب المكانة التي يستحقها، من خلال المطالبة بترحيل الجملة من دائرة الوصف اللغوي؛ بدعوى أنها قاصرة عن استيعاب الجوانب فوق اللسانية، وهذا التوجه التنويري جاء نتيجة لتظافر معطيات منطقيّة ونفسية وتواصلية القت بظلالها على إنتاج الخطاب.
- 2- إن الخطاب المشفر ليس من السهولة بمكان الوصول إلى بنيته الكبرى؛ لأنه خطاب يحتاج إلى كفاءة عالية لاختراقه، ومن ثم تفرجه إلى الفهم.
- 3- إن فكرة البنية الكبرى عند فان دايك هي من متبنيات المدرسة الألمانية الجشطالتية التي تؤمن بالمعالجة الذهنية الكلية للعالم الأشياء.

- 4- ورث (فان دايك) من النحو التوليديّ التحويليّ مفاهيم تشي بانتمائها إلى الوحدة الصغرى (الجملة) أهمها: الحدس، والحذف.
- 5- يمكن توحيد القواعد التي اقترحها (فان دايك) للوصول إلى البنية الكبرى بقاعدة واحدة، وهي قاعدة الحذف؛ لأن مدار تلك القواعد على الحذف. وهو أمر، يذكر بما فعله الغراسيون الجدد أمثال (دان سبيربر) و(ولسون) عندما اختزلا قواعد غرايس التخاطبية بقاعدة المناسبة.
- 6- إن تحديد البنية الكبرى مرهون بفعل التلقي، فالقراء يختارون المعلومة الأكثر ارتباطاً بالخطاب، تبعاً لاختلاف ثقافتهم الموسوعيّة، وعليه؛ قد يختلف تقدير البنية الكبرى من شخص إلى آخر.
- 7- يُعدُّ الطرف الذي كتبت فيه القصيدة أهمّ الوسائل البيولوجرافية الدالّة على البنية الكبرى.
- 8- عنوان القصيدة يحيل إلى السكوت وقلة التدبير؛ فالمرء ثقلاً زرقاء اليمامة، فقد قاله الشاعر؛ إذ تنبأ، فكانت نبوءته ضمن هذا التثليث الرئيب: انعدام الرؤية، فاستشراف الفوضى والتنبؤ بالقادم، فبشارة. وبالمحصلة، فالعنوان قد كشف بعض الشيء عن الغموض الذي أحاط بالنصّ.
- 9- تقتنع الشاعر بقناع العزاف؛ لأسباب قد تكون نفسية، أو اجتماعية، أو سياسية.
- 10- وظّف الشاعر التناص توظيفاً طبوغرافياً، إذ صنع من خلاله، حركةً جدليّةً بين ثنائية المقدّس والمدنّس.

## 5. التّوصيات

- 1- وصي البحث بتطبيق البنية الكبرى على الخطابات ذات السلاسل الجمليّة الطويلة؛ لغرض تحديد المعنى الذي يفرضه وحدة التقطيع القرائي.
- 2- إدراج مفهوم البنية الكبرى ضمن اختبارات الاطفال المصايين بمرض التّوحد، من خلال تطبيقها على النصوص غير اللغويّة كالأشكال الهندسيّة، والألعاب، والرسومات.
- 3- عدم تطبيق البنية الكبرى على النصوص الواضحة.

## المصادر والمراجع

- ابرير، بشير، (2012)، آليات تحليل الخطاب في كتاب سيوبه، الجزائر، مجلة كلية الآداب و اللغات، جامعة محمد خضير، بسكرة، العددان (10، 11).
- أحمد، يحيى، (1989)، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللّغة، الكويت، عالم الفكر، المجلد (20)، العدد (3).
- باختين، (1986)، ميخائيل الماركسيّة وفلسفة اللّغة، ترجمة، محمّد البكريّ ويمنى العيد، (ط1)، المغرب، دار توبقال للنشر.
- الباري، محمّد عبد، (2012)، ديوان مرثية النار الأولى، (د. ط)، بيروت لبنان، منشورات الموسوعة العالميّة للأدب العربي، توزيع منتدى المعارف.
- بحيري، سعيد، (1997)، علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات، (ط1)، القاهرة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصريّة العالميّة للنشر لونجمان، دار نومار للطباعة.
- بوساحة، فريدة، (2016)، فهم النصوص بين البنية الصغرى والبنية الكبرى، الجزائر، مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة، العدد (39).
- بولنوار، بوديسة، (2020)، هاجس المستقبل في قصيدة (مالم ثقله زرقاء اليمامة) لمحمّد عبد الباري، الجزائر، مجلة علوم اللّغة العربيّة وأدائها المجلد (12)، العدد (2).
- خطابي، محمد، (2006)، لسايات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، (ط2)، المغرب، المركز الثقافي العربي.
- خليل، إبراهيم، (2010)، في نظريّة الادب وعلم النصّ بحوث وقراءات، (ط1)، الجزائر، دار العربيّة للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.
- خمري، حسين، (2007)، نظريّة النصّ من بنية المعنى إلى سيمياء الدالّ، (ط1)، الجزائر، دار العربيّة للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.
- الرويلي، ميجان، والبازعي، سعد، (2002)، دليل الناقد الادبي إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، (ط2)، المغرب، المركز الثقافي العربي.
- شارودو، باتريك، ومنغونو، دومينيك، (2008)، معجم تحليل الخطاب،: ترجمة، عبد القادر المهيريّ، وحمادي صمود، (د. ط)، تونس، دار سيناترا المركز الوطني للترجمة.
- شبل عزة، (2007)، علم لغة النصّ النظريّة والتطبيق، (ط1)، القاهرة، مكتبة الآداب.
- الشكلي بسمه، وآخرون، (2008)، مقالات في تحليل الخطاب: تقديم، حمادي صمود، (د. ط)، تونس، كُليّة الآداب والفنون والإنسانيّات بجامعة منوبة، وحدة البحث في تحليل الخطاب.
- الشهريّ، عبد الهادي، (2004)، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغويّة تداوليّة، (ط1)، بيروت - لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- شومان، محمّد، (2007)، تحليل الخطاب الإعلاميّ أطر نظريّة ونماذج تطبيقية، (ط1)، القاهرة، الدار المصريّة البنائيّة.
- الطعان، صبحي، 1994، بنية النصّ الكبرى، الكويت، عالم الفكر، المجلد (23)، العددان (1، 2).
- عليّ، محمّد محمّد، (2016)، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظريّة المسالك والغايات، (ط1)، عمان - الاردن، دار كنوز.

- عليّ، محمّد محمّد، (2018)، مدخل إلى اللسانيّات، (ط2)، بيروت، لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- فان دايك، تون، (2000)، النصّ والسّياق استقصاء البحث في الخطّاب الدّلاليّ والتّدالويّ، ترجمة، عبد القادر قنيني، (د. ط)، المغرب، افريقيا الشرق.
- فان دايك، تون، (2005)، علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق د. سعيد حسن بحيري، (ط2)، القاهرة، دار القاهرة.
- فرغا، كبيدي، (2013)، النّظريّة والنّصّ، ترجمة، د. منذر عياشي، (ط1)، إربد- الاردن، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
- فضل، صلاح، (1993)، في بلاغة الخطّاب وعلم النّصّ، الكويت (د. ط)، عالم المعرفة، المجلي الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- مداس، أحمد، (2009)، لسانيّات النّصّ نحو منهج لتحليل الخطّاب الشّعريّ، (ط2)، إربد - الاردن، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
- مكدونيل، ديان، (2001)، مقدّمة في نظريّات الخطّاب، ترجمة وتقديم د. عز الدين اسماعيل، (ط1)، القاهرة، المكتبة الاكاديمية.
- ميلز، سارة، (2012)، الخطّاب، (ط1)، بيروت، دار الكتب العلميّة.
- يقطين، سعيد، (2006)، انفتاح النّصّ الروائيّ، النّصّ والسّياق، (ط3)، المغرب، المركز الثقافيّ العربيّ.

(ئەو شتانی که زەرقاوی یەمامە نەوتیەو) بۆ شاعیر محەمەد عەبدولباری  
نزیکیبون لە پەییوەندیانی وتار لەگەڵ روونیەکانی (فان دایک)

عدنان رسمي ياسر يونس

کۆلیجی پەرەردە بۆ کچان، زانکۆی شەطرە، ذیقار - عێراق

[adnan.rasmi@shu.edu.iq](mailto:adnan.rasmi@shu.edu.iq)

پوختە

لە سەدەى حەفتاکانی سەدەى بیستەدا، دەنگەکان بەرزبوونەو بۆ پابەری کردنەوێ دەستەى وشە لە ناوچەى وەسفی زمانناسی؛ بەهۆی ئەووەو که توانای گرتنی پارچە دەرەکی و بەکارهێنانی ناهێشتوو، بەمە شیوێ بەرەو گەورەبوونەو لە ناوچەى وتاردا، یەک گشتی بەرز کرا و ئەم بەندەبوونە پێشانپەگایان بەرەو بیژن لە دەست و شوێن فەرمی. ئەم لیکۆلینەوێهێ راگەباندنیکی دەربارەى شیعری (ئەو شتانی که زەرقاوی یەمامە نەوتیەو) یە بۆ شاعیر محەمەد عەبدولباری، بە شیوێهێکی گەرانەو بەپێی نزیکیبونەکانی فان دایک لە پەییوەندیانی وتار. ئامانجی ئەم لیکۆلینەوێهێ ئەوێهێ که پوونابکاتەو بەرەو پەییوەندیانی هەلگری تیکەرەپەییوەندیارەکه که فان دایک لە پوونای زمانی کۆکری و گەرانەوێهێ بەردەستدایە. لیکۆلینەوێهێ کۆتایی پێهاتوو بەمەشدا که وتاری نەهێراو بە ئاسانی ناتوانرێت بەرزبوونەکانی پەییوەندیاری بگات، چونکه وتاریکە که پێویست بە توانا و توانا زۆر بۆ تێپەرین لە ناوچۆی وتارەکه، پاشان بێ لە نزیکردنی فەهم.

وشە سەرەکییەکان: وتار، پەییوەندیانی وتار، فان دایک، چوارچێوێهێ گەورە.

The poem (What never said by Zarqa Al Yamama) by Muhammad Abdel Bari  
An approach to discourse analysis according to Van Dijk

Adnan Rasmi Yasir Younis

Department of Arabic language, College of Education for Girls, Shatrah University, Iraq

[adnan.rasmi@shu.edu.iq](mailto:adnan.rasmi@shu.edu.iq)

Abstract

the twentieth century where new voices occurred to call for moving the sentence from the area of lingual description. They argue that the sentence cannot satisfy the meaningful and pragmatic factors of discourse. In this regard, linguists felt that it is necessary to start wider area represented by the area of discourse. This research is a study which deals with the poem "what never said Zarqa Al Yamama say" by the poet Mohammed Abdel Al Bari depending Van Dijk approach in discourse analysis. It aims at indicating the structure through the pragmatic rules which Dijk gained by generative grammar. The research concludes that the coding discourse is not so easy to distinguish its structural unit because it is in need for an adequate effort to be analysed reaching the understandable point.

**key words:** discourse, Discourse Analysis, the total structure Van Dijk